

الوحدة السابعة

العلاقات الدلالية (علاقة اللفظ بالمعنى والاستعمال).

توطئة في مفهوم العلاقات الدلالية.

نالت قضية علاقات اللفظ والمعنى اهتمام العلماء بمختلف توجّهااتهم المعرفية، لقد تحدّث فيها المناطقة والفلاسفة والبلاغيون والنقاد وغيرهم، وعولجت القضية غالبا تحت مسمى اللفظ والمعنى.

تلفُّ الكلمة مجموعةً علاقات كثيرة متعدّدة تُشكّل زوايا نظر مختلفة، انكبّ الدرس الدلالي من جهته على القضية من باب علاقات كثيرة متنوّعة؛ منها أنّ لفظ علاقة بمعناه، وعلاقة بحروفه وأصواته، وعلاقة بمثيلاته في المعنى، ومثيلاته في الشكل، وعلاقة بمجال استعماله.... وهي علاقات كثيرة نرصد منها:

أوّلا/ علاقة اللفظ بالمعنى أو علاقة الدال بالمدلول.

نتعرّف على علاقة اللفظ بالمعنى، من خلال حقيقة لغوية ثابتة هي: "أنّ لكلّ لفظ، وهو مجموعة صوتية على نسق معيّن . محيطا دلاليا اتّفق عليه في متعارف المجتمع اللّغوي". وهذا اللفظ منه المهمل ومنه المستعمل. وبعض الألفاظ لا تؤلّف معنى كـ(خقج) و(صصع)، و(كجقف) لذلك أطلق نحاة العربية على ما اشتمل على معنى كلمة، أمّا خلا من المعنى هو اللفظ، وهو رأي المحدثين من علماء العربية أيضا.

نستخدم اللفظ في علم الدلالة بمعنى الكلمة، فقضية اللفظ والمعنى هي ذاتها قضية الدال والمدلول، ونتساءل كيف تطابقت الألفاظ مع معانيها؟ لقد حصل ذلك في كلّ لغة من اللّغات أوّل أمر اللغة، وتأتي محاولات تفسيره في نظريات نشأة اللغة الإنسانية.

(عد إلى نظريات نشأة اللغة مقياس فقه اللغة، أنظر نشأة اللغة في الخصائص لابن جني،
والصاحبي لابن فارس.)

إنّ علاقة الدالّ بالمدلول هي بحث في علاقة طرفي الفعل الدلالي، وقد تمّ تفسيرها
وفق رؤى كثيرة، منها ماذهب إليه ف. دي سوسير وهو العلاقة الاعتباطية، فاسم
الكرسيّ مثلاً يمكن أن يُجعل للطاولة والعكس دون فساد في المعنى.

غير أنّ صنفاً من الألفاظ كما في العربية، تتقارب فيه الحروف لتقارب المعاني، علاقة
صوت الحرف بمعناه. قال ابن جني: تتقارب الحروف لتقارب المعاني، وهذا باب واسع
من ذلك:

. المثال 1

في قوله سبحانه وتعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضُّعُهُمْ أَزًا) مريم،
83 أي: تزعجهم، وتقلقهم، في هذا في معنى تهزّهم هزّاً، قال ابن جني: الهمزة أخت الهاء،
فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من
الهاء، وهذا المعنى أقوى في النفوس من الهزّ، قد تهزّ ما لا بال له، كالجدع وساق
الشجرة"¹

. المثال 2

في لفظي: (س ح ل) و(ص ه ل) الصاد أخت السين، كما أنّ الحاء أخت الهاء، ونحو
من قولهم سحل في الصوت زحر، والسين أخت الزاي، كما أنّ اللام أخت الراء. كلّ ما
تقدّم من أمثلة عن تجاور حروف الجذر وتقاربها يصيب تقارب المعنى، ويقدم ابن جني
أمثلة تطبيقية كثيرة عن مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث .

. المثال 3

¹ابن جني، الخصائص، ص403.

في الفعل خَضَم، وقَضِم الخضم للرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقَضِم للصلب اليابس، فالبقرة تخضم الحشيش، والدابة تقضم الشعير، ورد عن أبي الدرداء قوله: (يخضمون ونقضم والموعِد الله) فاخْتاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها للصلب، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.²

المثال 4

وفي الفعل نَضَح، ونَضَخ يُقال نَضَح الماء على وجهه فيه لطافة، قال تعالى في الذكر الحكيم: (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَاَنِ) الرحمان، 66. فقد جعلوا الحاء لرقَّتْها للماء الخفيف، والحاء لغلظتها لما هو أقوى ومنه مضخّة لضخ الماء بقوة.³

تُستخدم الألفاظ في التأليف والنصوص الإبداعية لذلك أخذت مساحة كبيرة من البحث والاهتمام، فذكرها الجاحظ والجرجاني وغيرهم من أعلام العربية في مختلف السياقات، المساواة والتفاضل، وخُتمت بنظرية النظم التي انتصرت للفظ والمعنى معا.

(عد إلى نظرية النظم في البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني وغيره)

ثانيا / علاقات اللفظ بالاستعمال

لم يُجعل اللفظ ليبقى ثابتا بل يجب أن يدخل في الاستعمال، الذي يُظهر علاقاته الكثيرة المتنوّعة فيجعل الألفاظ أصنافا منها : الاشتقاق، الدّخيل، المولّد، الاقتراض التعريب في العربية، وكلّ ما يدخل أو ينتج أو يولد في اللّغة نتيجة الاستعمال، كما أنّ هناك صنف آخر من الظواهر تحدّثنا عنه في باب العلاقات، كالتقدّم والبلى والرّقي والازدهار والتخصيص والتعميم، وهي علاقات كثيرة متباينة ذكرت في المحاضرتين الرابعة والخامسة. نكتفي بذكر:

²ابن جَنِّي: الخصائص، ص

³ابن جَنِّي: الخصائص، ص411.

أ/الاشتقاق:

هو في الاصطلاح أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى، وتغيير في اللفظ بين الأصل المأخوذ منه والفرع المشتق، له أهمية كبيرة في إثراء اللغة وجعلها قادرة على التجدد والتقدم، من أنواعه: الاشتقاق الصغير هو الأشهر والأكثر استعمالاً، وذهب البصريون إلى أنّ المصدر هو أصل الاشتقاق وذهب الكوفيون إلى أنّ الفعل هو أصل جميع المشتقات. أطعم الإمام علي كرم الله وجهه أكلة طابت له، فسأل عن اسمها فقيل له: فالودج، فقال ما الفالودج؟ فقيل له: هو طعام المهرجان فقال: إذن "مهرجوناً" منه كل يوم، وهو اشتقاق قياسي من كلمة أجنبية. " ولم يزل ولد اسميعيل على مرّ الزمان يشتقون الكلام بعضه من بعض ويضعون للأشياء أسماء كثيرة بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها، فلما اتسع الكلام ظهر الشعر الجيد الفصيح." ⁴

ب/ الاقتراض اللّغوي (المعرب).

وهو كما يدل عليه اسمه نطق كلمات غير عربية على طريقة النطق العربي، وللإشارة فإن العربية استقبلت عبر تاريخها الطويل العديد من الكلمات الأجنبية كما صدرت الكثير من مفرداتها إلى لغات أخرى، وهي طبيعة في اللغات، وما كان للغة أن تتطور بدون أن تدخلها كلمات من لغات أخرى لتصير حية جديرة بالخلود والبقاء وقابلة للاستعمال في شتى مناحي الحياة، السجّجل: كلمة معربة قديمة للمرأة وأصلها رومي وتعني أحياناً الذهب والسبائك اللامعة.

.سمة الدقة الفروق اللغوية

هي جانب آخر لا يظهر إلا بالاستعمال الدقيق للألفاظ، فقد ذهب أبو هلال العسكري، إلى الدفاع عن فكرة الفروق اللّغوية، تأمل النص الموالي الذي يظهر دقة

⁴ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب بن إسحاق، الفهرست، ت رضا تجدد، ج1، المقالة الأولى، د ت، د ط، ص8.

الاستعمال بدقّة، وبراعة الضبط، وأثرها ألفاظاً: " يُقال يده من اللحم غَمِرَةٌ، وَندِلَةٌ، ومن اللبن وَضْرَةٌ، ومن السمك سهكة، ومن البيض ولحم الطّير زهمة، ومن العسل لثقة، ومن الجبن نسمة، ومن الودك وَدِكة ، ومن الدهن والسمن نسمة، ومن الخل خمطة، ومن الماء لثثة، ومن الخضاب ردعة، ومن الطّين ردغة، ومن العجين لوثة، ومن الدقيق نثرة، ومن الرّطب والتمر حمتة، ومن الزيت وصئة، ومن النجاسة نجسة، ومن القار حلكة، ومن البطيخ نضخة، ومن الذهب والفضة قثمة، ومن الكافور سطعة، ومن الدّم شحطة، ومن التراب تربة، ومن الرماد رمدة، ومن الخبز خبزة، ومن المسك ذفرة، ومن غيره من الطيب عطرة، ومن الشراب خمرة، ومن الروائح الطيّبة أرجة."

حين ننظر مفردات النص نجد أنّ اختلاف المادّة التي تلامس اليد يؤدّي إلى اختلاف الكلمة المعبرة وهذا أمر راجع للاستعمال الدقيق الذي تتطلبه الفصحى.

ملاحظة

يُحدث الاستعمال أثراً ظاهراً في الكلمات وأغلب العامة لا يتفقّدون ألفاظ اللغة ولا يميّزون ما هو أولى، ولا يستخدمون اللفظ المناسب في المقام المناسب، بل يلجأون إلى الأخف وبذلك يجري الخطأ على الألسنة.

المصادر.7

1/ ابن جيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت محمد علي النّجار، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط 1، ت ط 2006م.

2/ السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تحقيق وشرح أبو الفضل إبراهيم ، محمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت ، ت ط 2004م

3/ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب بن إسحاق، الفهرست، ت رضا تجدد، ج1، المقالة الأولى، د ت، د ط، ص8.